# فن التفاوض الأيوبي ودبلوماسية الصليبيين
# خلال الحملة الصليبية الثالثة على الشرق
# (587 – 588 هـ/ 1191 – 1192م)

الدكتور: أشرف صالح محمد سيد، جامعة ابن رشد، هولندا

**الملخص:**

موضوع هذه الدراسة هو المفاوضات التى دارت بين السلطان صلاح الدين الأيوبى والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد لمدة عام كامل (1191 – 1192م). ليس الهدف من البحث سرد الأحداث التاريخية، ولكن دراسة وتحليل بعض الجوانب الهامة وهى: الأسباب التى دفعت بالصليبيين للجلوس على مائدة التفاوض، وحقيقة فكرة المصاهرة السياسية التى اقترحها ريتشارد قلب الأسد لتزويج أخته من شقيق صلاح الدين، ثم مَن هو المسئول عن مصرع المركيز كونراد، وأخيرًا الهدنة العامة التي انهت أحداث المفاوضات بين الجانبان.

**Abstract:**

The subject of this study is the negotiations that took place between the Sultan Saladin and the King Richard the Lion-Heart for a full year (1191 - 1192 AD). The aim of the research not listed historical events, but study and analysis some of important aspects, namely: the reasons that prompted the Crusaders to sit at the negotiating table, and the fact of the idea of intermarriage political proposed by Richard the Lion-heart to marry his sister, from the brother of Salah al-Din, then who is responsible for the death of the Marquis Conrad, and finally the General Armistice that ended the events of negotiations between the two sides.

**مقدمة**

كانت معركة حطين في 4 يوليو 1187م/ 583هـ واسترداد المسلمين بعدها لبيـــت المقدس بمثابة ضربة قاصمة للكيان الصليبي في بلاد الشام الذي بدأ في الانهيار ذلك لأن المدن الصليبية كانت تتهاوى واحدة تلو الأخرى في يد المسلمين. ولهذا حشدت أوربا قواتها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وذلك في صورة حملة صليبية جديدة وهي المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة. وقد قاد هذه الحملة ثلاثة من أبرز ملوك وأباطرة أوربا في ذلك الوقت وهم فردريك بربا روسا إمبراطور ألمانيا، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا ثم ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا.

والواقع أن أول من حمل منهم الصليب وتوجه إلى الشرق كان الإمبراطور الألماني على رأس جيش ضخم، إلا أن هذا الإمبراطور عندما عبر بقواته إلى أسيا الصغرى غرق في أحد الأنهار هناك. فتفرق أغلب أفراد هذه الحملة ولم يصل سوي عدد قليل إلى مدينة عكا الساحلية للمشاركة في حصارها وذلك بجانب قوات الملك الفرنسي الذي سارع بالقدوم للمنطقة بعد الكارثة السابقة وفقد الصليبية الثالثة للدعم الألماني. أما الملك الإنجليزي فقبل أن يصل إلى الشرق عرج في الطريق على جزيرة قبرص واستولى عليها، وذلك لموقعها الفريد في مواجهة الساحل الشامي والذي يمكن الصليبيين من التزود بالمؤن قبل قدومهم لبلاد الشام.

وهكذا؛ تقابلت القوات الإنجليزية والفرنسية عند أسوار مدينة عكا وذلك بقصد إسقاطها في القبضة الصليبية لأنها جوهرة الساحل الشامي والتي يمكن من خلالها استرداد بقية المدن الصليبية لاسيما بيت المقدس وهي الغرض الأساسي من الحملة. ودار الصراع الحربي بين المسلمين والصليبيين بشأن المدينة، وتخلل هذا بعض الاتصالات للتفاوض من أجل عكا إلا أن هذا لم يمنع حامية المدينة من الاستمرار في مقاومة الصليبيين. وقد استمر حصار عكا كما استمرت المعارك المتصلة بين الجانبين لمدة عامين كاملين (1189- 1191م) إلا أن المدينة سقطت

في النهاية في أيدي الصليبيين. وبهذا انتهت معركة عكا لتبدأ أحداث معركة جديدة لا تقل ضراوة عن المعارك الحربية وهي المفاوضات الأيوبية- الصليبية والتي استمرت عامًا كاملاً (1191 - 1192م).

حيث يظهر جليًا للباحث المتأمل للأوضاع السياسية في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي إبان العدوان الصليبي عليها، وجود العديد من العوامل والأسباب السياسية التي جعلت المسلمين يقبلون على إقامة علاقات دبلوماسية مع الصليبيين كلما اقتضت الضرورة ذلك، أو تحقيقًا لمصلحة. كما أن المفوضات كان لها بالغ الأثر في تسوية المشاكل والخلافات القائمة، والسعي إلى تهدئة المواقف، والعمل على وضع حد للأزمات والحروب.

وموضوع هذا البحث هو الجانب الأيوبي والصليبي على مائدة التفاوض إبان الحملة الصليبية الثالثة، وبمعنى آخر تلك المفاوضات التي دارت بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد لمدة عام كامل (1191-1192م) وكان فارسها العادل الأيوبي. ليس الهدف من البحث هو سرد الأحداث التاريخية ولكن دراسة وتحليل بعض الجوانب الهامة وهي: الأسباب التي دفعت بالجانب الصليبي للجلوس على مائدة التفاوض، وحقيقة فكرة المصاهرة السياسية التي اقترحها ريتشارد قلب الأسد لتزويج أخته من العادل الأيوبي شقيق صلاح الدين، ثم من هو المسئول عن مصرع المركيز كونراد صاحب صور وهل كان لصلاح الدين أو الملك ريتشارد دخل في هذا الحادث، وأخيرًا الهدنة العامة التي ختمت أحداث المفاوضات بين الجانبان.

**مباحث الدراسة:**

قُسمت الدراسة إلى ثلاث مباحث وخاتمة؛ يتصدى **المبحث الأول** لدراسة وضع الصليبيين المحليين وبيان منازعاتهم وموقف الصليبيين الواردين منهم، وتأثير ذلك على فتح باب المفاوضات مع المسلمين، وتسابق كلاً منهما في الجلوس على مائدة التفاوض لتحقيق أهدافه أو أطماعه، ومدي تجاوب الجانب الإسلامي

معهم. يتناول **المبحث الثاني** بالدراسة فكرة المصاهرة السياسية بين التاجين الأيوبي والإنجليزي والموقف الإسلامي الصليبي منها، وظهور مدينة عسقلان بعد التخريب والتعمير على طاولة المفاوضات، ثم قضية اغتيال المركيز صاحب صور والاتهامات الواردة فيها. وقد تعرض **المبحث الثالث** لدراسة وتحليل خاتمة أحداث المفاوضات الأيوبية – الصليبية بعد عام كامل من التفاوض، وإلقاء الضوء على الحجرة العثرة التي أوقفت المفاوضات كثيرًا ألا وهي مدينة عسقلان.

**أولاً: وضع الجانب الصليبي وطلب الدخول في المفاوضات مع المسلمين**

بداية؛ نوضح أنه بعد سقوط عكا في يد الصليبيين أميط اللثام عن فوارق واضحة بين القوي الإسلامي والصليبية ليس فقط من الناحية المادية بل والمعنوية أيضًا، فقد أفقدت المعركة الجانبين الكثير من الأموال والذخائر بالإضافة لخسائر فادحة في الأرواح على أن صلاح الدين ظل محتفظًا بوحدة القيادة في جيوشه وبقوة الروح التي أثارها فيمن تبقي حوله من العساكر المسلمين، كما ظل قادرًا على تجييش عدد كبير من الجند من مختلف الأقطار الواقعة تحت سلطته المباشرة، أما الصليبيين فقد كان لجهلهم بطبيعة بلاد الشرق الجغرافية اثر عليهم بالإضافة لتعدد جنسيات المحاربين الصليبيين وعدم توحيد قيادتهم[1] والواقع أن الصليبيين قضوا مدة شهر ونصف يرتاحون في عكا من عناء الحرب ويقررون أمرها[2] بيد أن ذلك لم يكن السبب الوحيد حيث أن المشاجرات كان لها دورًا في تأجيل زحفهم إلى داخل الساحل بعض الوقت. فقد وقع بين الصليبيين سوء تفاهم بسبب عرش مملكة بيت المقدس، ومن هو صاحب الحق من المطالبين به.

وبينما أخذ ريتشارد[3] جانب جي لوزجنان، فإن فيليب أخذ جانب كونراد مونتيفرات[4] وأخيرًا قرر ريتشارد أن يكون كونراد وريث جي وأنه إذا مات الاثنان ورث هو هذا العرش، وبذلك وجه ريتشارد هذا النزاع لمصلحته وظهرت أطماعه ورغبته في الاستئثار بكل شيء[5]. وتجدر الإشارة هنا؛ إلى أن فيليب بعد حسم النزاع السابق عاد إلى فرنسا نظرًا إلى أن الأحوال في بلاد كانت

في حاجة إليه، بالإضافة إلى غضبه من ملك إنجلترا لأن هذا الأخير قد نقض معه اتفاقهم من حيث اقتسام ما يستولون عليه وبهذا بقي ريتشارد منفردًا بزعامة الحملة.

وقد فكر ريتشارد بعد ذلك في خطة لتحقيق هدف الحملة، تتمثل في الزحف بمحاذاة الساحل نحو الجنوب للاستيلاء على المدن الساحلية الواقعة بين عكا وعسقلان ليسهل بعد ذلك الوصول إلى بيت المقدس. غير أن ذلك الطريق الساحلي اعترضته سلسلة من التلال الرملية المنخفضة ذات الغابات الكثيفة والمليئة بالحيوانات الضارة والحشرات والناموس القاتل والأفاعي والثعابين[6].

ويضاف إلى ذلك؛ شدة الحرارة وقلة المؤن وخراب البلاد والقرى، كما أن القوات الصليبية كانت أثناء زحفها محصورة بين البحر من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى[7]. حيث عمد الجيش الأيوبي إلى مضايقة الصليبيين في سيرهم، ومهاجمتهم بالسهام[8].

والواقع أن الصليبيين قد اختاروا هذا الطريق الساحلي على الرغم من صعوبته لأنهم كانوا يخشون مفارقة الساحل حتى لا يحول المسلمون بينهم وبين مراكبهم التي تمثل مصدر مؤنهم[9]. ولا مراء في أن هذا الوضع قد دفع ريتشارد لفتح باب المفاوضات مع صلاح الدين للتوصل إلى حل سلمي وتجنب القتال[10]. وقد حدث أن طلب الصليبيين من مقدم نوبة كشافة المسلمين بأن يبلغ الملك العادل (540-615هـ/ 1145- 1218م) رغبة الملك ريتشارد في الحديث حول الصلح معه، وقد استأذن العادل من السلطان صلاح الدين في الحديث معهم فأذن له[11]. وقد جرت أحداث الاجتماع التفاوضي بين العادل والصليبيين عند قرية عرفت بدير الراهب[12].

وكان مضمون حديث الصليبيين معه أن القتال قد طال بين الجانبين، وقد قتل من الفريقين العديد من الرجال، وأنهم جاءوا نتيجة استغاثة الصليبيين الموجدين بالساحل فإذا تصالح المسلمين معهم رجعوا- أي الصليبيين الوافدين -

من حيث أتوا[13]. وقد بعث صلاح الدين برسالة للعادل ليطيل الحديث مع الصليبيين حتى تصل الإمدادات العسكرية[14]. ويتضح من هذا أن صلاح الدين قبل التفاوض للاستفادة منه في تأخير حركة الصليبيين واكتساب الوقت.

وقد اجتمع العادل والملك ريتشارد بعد ذلك للحديث في أمر الصلح، وقد اخبر العادل ريتشارد بأنه لا يعرف شروطه للصلح، فكان جواب ريتشارد بان الشرط الأساسي الذي يعتبر أساسا للمفاوضات هو أن تعود البلاد كلها للصليبيين[15]. فقال له العادل: "هذا لا مطمع فيه وهذا رسم باطل حقنا معفيه ودون حدود البلاد حدود الحداد"، وكانت تلك كلمات غليظة على مسامع ريتشارد نقلها إليه هنفري بن الهنفري الذي كان يتولى الترجمة بينهما وبهذا الجواب من العادل انتهي الاجتماع[16].

وعلى اثر ذلك بعث العادل برسول لصلاح الدين ليخبره أن الصليبيين قد تحدثوا معه في أمر الصلح وان مطلبهم الأساسي هو إعادة جميع البلاد الساحلية لهم، وقد وافق صلاح الدين على هذا الطلب لأنه رأي فيه مصلحة لعامة المسلمين، فقد رأي أن العساكر قد أصابهم الضجر من مواصلة القتال والبقاء طويلاً في الميدان، كما أن الديون قد تراكمت عليهم[17]. وبسبب هذه الحالة كتب السلطان للعادل يسمح له بمتابعة المفاوضات" وفوض أمر ذلك إلى رأيه[18]. ويعني ذلك دون مشورة أحد، فالسلطان أناب عنه الملك العادل في التفاوض. ومن جهة أخري؛ يعد ذلك اعترافًا من جانبه على قدرة العادل في تحمل مسئولية التفاوض مع الصليبيين.

وفي الحقيقة؛ إذا كانت أبرز الخصائص الواجب توافرها في السفير – كما سجلها الكُتَّاب المسلمين المعاصرين- أن يكون السفير وسيما مسيمًا، عفيفًا جيد اللسان، وحسن البيان، وحاد البصر، وذكي القلب، ويفهم بالإيماء، ويناظر الملوك على السواء،[19] فإن هذه الصفات تنطبق تماما على شخصية الملك العادل – شقيق صلاح الدين – الذي أدار دفة المفاوضات بنجاح[20]. والجدير بالذكر؛ أن

لقاء دير الراهب في 5 سبتمبر1191م بين الملك العادل وريتشارد قد مثل آخر فرصة ممكنة من أجل التوصل إلى حل سلمي بين الجانبين وتجنب الصدام الحربي بينهم[21].

فعقب يومين فقط من هذا اللقاء خاض الجانبان غمار معركة أرسوف بمبادرة من الجيش الأيوبي بالهجوم على الصليبيين ثم تحول الصليبيين من الدفاع للهجوم المفاجئ العنيف، مما أدي لتفرق وتراجع المسلمين حتى لحقت بهم الهزيمة[22]. على أية حال؛ تجددت المفاوضات ولكن هذه المرة من جانب الصليبيين المحليين حيث بعث المركيز كونراد صاحب صور برسالة لصلاح الدين فحواها انه على استعداد لمحاصرة عكا واستردادها من أيدي إخوانه في الدين بشرط أن يعطيه السلطان صيدا وبيروت[23]. وقد اشترط أن يقسم السلطان له أولا إذا تم الاتفاق بيد أن السلطان بعث إليه مشترطا أن يبادر هو أولا بحصار عكا واستردادها وان يطلق سراح الأسرى الموجودين بها والذين في صور أيضا، ثم بعد ذلك يسلم له المدينتين المشار إليهما[24].

عندما علم ريتشارد بمحاولة المركيز للتفاوض مع السلطان توجه إلى عكا لكي يعوق أي مصالحة تكون بين كونراد والمسلمين، بل وضم كونراد إلى صفوف القوات الصليبية[25]. كما بعث ريتشارد هو الآخر برسول من جانبه ليتحدث في مسألة الصلح، حيث أوضح في رسالته أن البلاد أصبحت خراب، وانه قد عم الطائفتين نقص في الأموال والأرواح، وأن الأمر قد طال وأخذ حقه ووجب الصلح لينتهي هذا العناء، كما أشار بأن الصليبيين لن يتحولوا عن القدس حتى ولو لم يبقى منهم واحد هذا بالإضافة لتمسكهم بعسقلان[26]. واستعادة الأردن وما فيها من حصون، وأما الصليب ( صليب الصلبوت ) "فيمن به السلطان علينا[27]. وقد أجابه صلاح الدين بأن القدس أعظم عند المسلمين مما هي عند الصليبيين، ولا يكون هناك أبدا تصور للتخلي أو النزول عنها، أما البلاد التي يريدها الصليبيين فهي في الأصل للمسلمين وكان الاستيلاء عليها طارئا لضعف

المسلمين الذين كانوا بها وقت الاستيلاء عليها وأما الصليب فلا يجوز التفريط فيه إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام.

ومن الضرورة بمكان ملاحظة أن تمسك كلا من الملك والسلطان ببيت المقدس[28]. راجع لان هذه المدينة مقدسة في نظر جميع الأديان، فالمسيحيون يقدسونها لأنها موطن المسيح مبعث هدايته[29]، أما بالنسبة للمسلمين فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فيها مهبط الإسراء ومبدأ المعراج عند قبة الصخرة[30].

والآن؛ من الممكن أن نقرر أن هذه المرحلة من المفاوضات تدل على مدى تمزق الجانب الصليبي وانشقاقه، فموقف الصليبيين الواردين زعامة ريتشارد من المسلمين يختلف شكلا وموضوعا عن موقف الصليبيين المحليين بزعامة كونراد فالواقع أن طلبات المركيز كونراد كانت بمثابة معاهدة هجوم دفاعي يتحالف فيها مع أعداء الأمس وهم المسلمين ضد الصليبيين إخوانه في الدين. بيد انه قد انشق بموقفه هذا على سائر الصليبيين؛ فهو بمثابة ضربة موجهة ضد الحملة الصليبية الثالثة عامة والملك ريتشارد خاصةً وذلك لأن كونراد يعلم جيدًا مدى تكاليف هذه الحملة التي جاءت من اجل حماية الصليبيين المحليين[31]، ومن جهة أخري فإن طلباته تعكس طموحاته ومصالحه الشخصية فقط في المنطقة الساحلية.

والجدير بالذكر؛ أن صلاح الدين عمد إلى توازن مائدة التفاوض بين ريتشارد وكونراد أثناء مسيرة المفاوضات وذلك لتحقيق الفائدة للمسلمين وإضعاف مركز ريتشارد عند التفاوض معه[32].بيد أن تسابق الجانبين في إيفاد الرسل إلى السلطان أشعل نار الحقد في نفس كلا منهما تجاه الآخر[33].

**ثانيًا: فكرة المصاهرة السياسة وظهور مدينة عسقلان على طاولة المفاوضات**

الواقع أن الاتصالات لم تنقطع بين الجانبين فبعد ثلاثة أيام – من المقترحات السابق ذكرها – أرسل ريتشارد في 20 أكتوبر 1191م / 29 رمضان

587 هـ برسول للعادل ومعه عرض بالمصاهرة يتمثل في اقتراح ريتشارد بأن يتزوج العادل من جوانا ملكة صقلية (أخت الملك ريتشارد) وأن يقيما الاثنان بعد الزواج في مدينة بيت المقدس ويكون حكمها ثنائيًا بينهما، وأن يهب السلطان شقيقه العادل جميع بلاد الساحل بالإضافة إلى ما في يده من بلاد، وان يقدم ريتشارد لشقيقته كل ما فتحه من مدن الساحل بما في ذلك عسقلان، وأن ترد إلى الداوية والإسبتارية كل ممتلكاتهم في بلاد الشام، وان يحصل الصليبيين على صليب الصلبوت، كما يتم تبادل الأسرى بين الجانبين[34].

وقد أرسل العادل بوفد إلى السلطان لعرض الأمر عليه، وقد ترك مجلس المشورة الرأي للسلطان فوافق على المشروع كما وافق العادل أيضًا، إلا أن الرفض جاء من جانب جوانا التي أنكر رجال الدين عليها هذا الزواج، ولهذا عرض ريتشارد على العادل الدخول في الديانة المسيحية، إلا أن العادل رفض ذلك في دبلوماسية وترك باب المفاوضات مفتوحًا[35].

وكانت آخر الرسائل التي بعثها ريتشارد في هذا المشروع تفيد بأن رجال الدين يرفضون هذا الزواج دون مشورة البابا، ولهذا فقد أرسل ريتشارد له رسولاً يعود بعد ثلاثة أشهر فإذا صرح بالأمر تم عقد الزواج وإلا زوج ريتشارد العادل ابنة أخته إليانور دون أن يحتاج إذن البابا في ذلك. [36]. وفي الحقيقة؛ إن مشروع الزواج أكثر العروض خيالاً[37]، ومبالغة غير مقبولة في عصر اتسم بالتزمت الديني في هذه الناحية في الشرق والغرب على السواء[38]. وإذا كان هناك مَن يرى أن هذا الزواج كان فكرة طريفة تدل على مدى التقارب والتفاهم بين المسلمين والصليبيين [39]، فهذا النوع من الطرافة يأتي من أن الأمر كله لا يعدو المزاح، فتنفيذ هذا المشروع كان يبدو مستحيلاً وسط حرب دائرة بين المسلمين والصليبيين تحمل طابعًا دينيًا[40].

كما أن هذا التقارب لا وجود له، فقد استغل ريتشارد الصداقة المتبادلة بينه وبين العادل لخدمة أغراضه وإطالة أمد المفاوضات ولعرقلة قيام أي تحالف

بين صلاح الدين وكونراد. ويتضح ذلك من رسائل ريتشارد الخاصة بطلب التنصير من العادل، وانتظار وصول موافقة البابا على هذا الزواج. ومن زاوية أخرى؛ فإن ريتشارد لم يكن جادًا في عرضه – كما يعتقد البعض[41]. ذلك لأنه عرض على العادل الزواج من إليانور إذا رفض البابا زواجه من جوانا.

من جهة أخرى؛ إذا كان الدليل على هذا التقارب بين الفريقين يأتي من موافقة صلاح الدين والعادل على هذا المشروع [42]، فالواقع أن السلطان وافق على هذا الاقتراح اعتقادًا منه بأن ريتشارد لا يوافق على هذا العرض أصلاً، وأن الأمر كله لا يعدو سوى هزو ومكر[43]، أما بالنسبة للعادل فربما رحب بهذا المشروع بغية إقرار السلام[44]، أو أن هذا الحل يضمن توحيد الفريقين تحت لواء واحد[45]. بل يذهب البعض لأبعد من هذا في أن العادل هو الذي حاول إغراء ريتشارد كي يزوجه أخته وجعل ذلك من مقومات عقد الصلح[46].

والواقع أن العادل كان دبلوماسيًا بالغ الحنكة فلا ريب انه قد أدرك أن الأمر كله لا يعدو سوى مناورة يقوم بها ريتشارد ولهذا وافق على المشروع[47]. على أية حال؛ فقد تجدد اللقاء بين الجانبين في 8 نوفمبر 1191م / 18 شوال 587 هـ حيث اجتمع العادل مع ريتشارد في موقع اليزك، وقد طلب ريتشارد أثناء هذا الاجتماع من العادل أن يقوم بترتيب اجتماع له مع السلطان، وكان جواب الأخير على هذا الطلب بأنه بعد الصلح يكون الاجتماع[48]. ويتضح من ذلك أن صلاح الدين كان يدرك بثاقب بصره أن ريتشارد لا يبغي الصلح الجاد من وراء هذا الاجتماع وإنما تضييع الوقت.

وقد عقد صلاح الدين بعد ذلك مجلس مشورته لترجيح الصلح مع أحد الجانبين ريتشارد أو المركيز، وقد أجمع المجلس على أن يتم الصلح مع ريتشارد لأنه سوف يعود لبلاده، أما الصلح مع الصليبيين المحليين فغير مقبول لأن "مخالتطهم غير مأمونه[49]. بيد أن صلاح الدين كان يفضل الصلح مع المركيز لأن ذلك يضعف الصليبيين ويزيد من انقسامهم.

وبينما كانت الأمور تجري على هذا النحو دخل فصل الشتاء، وعاد صلاح الدين للقدس، وعاد ريتشارد لعكا[50]. وقد ترددت الرسائل بين الجانبين بعد ذلك إلا أن المراسلة بينهم لم تسفر عن شيء لأن ريتشارد دائما يعدل في مقترحاته، وربما كان السر في ذلك أنه كان ينوي القيام بعمل عسكري على الرغم من سوء الأحوال الجوية فقد أدرك ريتشارد ومن معه من القادة أهمية عسقلان في حسم الصراع الدائر بينهم وبين صلاح الدين لدخول بيت المقدس، ولهذا رأي ريتشارد أنه لابد من السيطرة على عسقلان أولا لقلة رجاله من ناحية، ولرغبته في تأمين جيشه الزاحف نحو بيت المقدس من ناحية أخري، فكان عليه أن يتجه إلى عسقلان لإعادة تحصينها[51].

والجدير بالذكر؛ أن صلاح الدين اتبع بعد معركة أرسوف سياسة تدمير بعض المواقع الاستراتيجية الهامة الخاضعة لسيادته؛ حتى لا تقع في قبضة الصليبيين على نحو يجعلهم يحققون مكاسب على أرضية الصراع[52]. فقد خشي السلطان الأيوبي أن يتخذ الصليبيون من عسقلان مركزا للانطلاق إلى المدينة المقدسة ومن هنا جاء قراره بتخريبها في 12 سبتمبر 1191م / 19 شعبان 587 هـ[53].

ولم يكن هذا القرار سهلاً على صلاح الدين الذي كان يري أن موت أحد أبنائه أحب إليه من تخريب عسقلان[54]. وعلى الرغم من ذلك قاد السلطان جزءا من جيشه صوب عسقلان وأمر بإخلائها من السكان ودمر المدينة عن آخرها، وقذف بحجارتها في البحر، وارتفعت أصوات أهلها بالبكاء أسفا عليها، وتم إتلاف الغلات التي لا يمكن نقلها أو تحويلها، وباع أهل المدينة أشياءهم بأبخس الأثمان، ورحل البعض منهم إلى مصر والبعض الأخر ذهب للشام[55]. ومع ذلك فقد التمس الصليبيون في خراب عسقلان ملجأ لهم، وذلك بناءً على نصيحة الفرنج الشاميين من الداوية والإسبتارية، الذين بادروا بتوجيه أنظار ريتشارد إلى

عسقلان وإعادة عمارتها حتى يسيطر الصليبيين على المؤن التي ترد من مصر إلى بيت المقدس كما يتيسر لهم الاتصال بالأسطول[56].

وقد وصلت قوات ريتشارد المدينة في 20 يناير 1192م / 3 محرم 588هـ وبدأت في إعادة بنائها على الرغم من المتاعب التي صادفتها من قسوة المناخ وقلة المؤن، فلم يكن الأمر يسيرا نظرا لما لحق بالمدينة من التخريب الشامل على يد صلاح الدين بتدمير أسوارها وأبراجها الضخمة التي لم تقل عن ثلاثة وخمسين برجًا، ولتضاؤل المال الذي يستأجرون به العمال، ونظرًا لهذا تحتم على الفرسان والأجناد والغلمان وسائر رجال الحملة أن يشتركوا في العمل تحت إشراف ريتشارد بل إنه أسهم في ذلك بنفسه[57].

وبينما كان ريتشارد في عسقلان- حيث أمضي فيها أربعة أشهر- وصلت أنباء عن تطلع شقيقه حنا للاستيلاء على عرش إنجلترا فبدت الأمور ملحه لعودة ريتشارد إلى بلاده، فأضطر لعقد مؤتمر في عسقلان خلال شهر إبريل سنة 1192م / 588 هـ وأعرب للمجتمعين فيه من الفرسان والبارونات عن رغبته في العودة إلى بلاده ولكنه حريص على حل مشكلة عرش مملكة بيت المقدس قبل عودته، وترك لهم حرية الاختيار ما بين جي وكونراد فوقع رأي الأغلبية على كونراد لاعتلاء عرش مملكة بيت المقدس، وعلى الفور توجه هنري كونت شامبانيا إلى صور ليهنئ كونراد الذي قاطع هذا المؤتمر وظل بمدينة صور، وفي نفس الوقت توجه جي لوزجنان إلى قبرص لينصب بها ملكًا[58].

ولم يهنأ كونراد بوضعه الجديد فسرعان ما اغتيل بصور على يد اثنين من الباطنية (الحشاشين) في الثامن والعشرين من أبريل 1192م[59]. وفي الحقيقة هناك اختلاف بين المصادر الإسلامية والصليبية في حقيقة المحرض على قتل كونراد ولهذا فمن الضروري عرض الاتهامات الواردة في هذا الشأن وتحليلها على النحو التالي:

أولاً: اتهم المؤرخ ابن الأثير صلاح الدين صراحة بقتل كونراد[60]. والواقع أن صلاح الدين لم يكن أبدا رجل الغدر والخيانة فسيرته الذاتية وعلاقته مع أعدائه تثبت ذلك، ويكفي أنه على مدي تاريخه لم يغدر بأي عدو له على الإطلاق. ومن جهة أخري لماذا يقدم صلاح الدين على قتل كونراد وهو على علم تام بالانقسامات بين الصليبيين[61]، كما أن وجود كونراد على مائدة التفاوض مع صلاح الدين كان له أهمية كبري لجعل مركز ريتشارد حرجا عند التفاوض مع المسلمين، ولهذا كان من المنطقي أن ترد إشارات في المصادر الإسلامية توضح أن السلطان لم يسر لمصرع كونراد لما سوف يترتب على ذلك من توحيد كلمة الصليبيين وهذا ما ليس في مصلحة صلاح الدين و المسلمين[62].

زد على ذلك؛ أن المصادر الصليبية لم ترد فيها أدني إشارة لاتهام صلاح الدين بهذا الأمر. والواضح أن الاتهام لا يخرج عن دائرة الكراهية الشخصية التي يكنها ابن الأثير لصلاح الدين والتي تظهر أكثر من مرة في كتاباته[63]. ثانيًا: تشير المصادر الصليبية إلى اتهام الحشاشين أنفسهم باغتيال كونراد، وذلك بناءً على حادثة فحواها أن كونراد كان قد استولي على سفينة تجارية تابعة للحشاشين عندما دخلت مدينة صور، فاستولي على ما في السفينة من سلع وغرق بحارة السفينة، وقد رفض كونراد أي محاولة إرضاء أو تعويض عرضها سنان شيخ الجبل[64].

وعليه، وكرد على هذه الإهانة أرسل سنان رجلين ليثأر لنفسه من المركيز[65]. ثالثًا: اتهم الرأي العام ريتشارد بقتل كونراد[66]، وفي نفس الوقت تؤكد المصادر الإسلامية على ذلك، حيث ذكرت أنه عندما تم القبض على الرجلين منفذي الاغتيال[67]. اعترفًا بأن ريتشارد هو الذي دفعهم لهذا الأمر[68]. ولكي يبرأ الإنجليز ملكهم كتبوا في حولياتهم رسالة مزورة بعث بها شيخ الجبل إلى ليوبولد الخامس دوق استريا[69]، يعلن فيها الشيخ صراحة أنه قد أمر بقتل كونراد[70]. وبالإضافة إلى هذا؛ تستبعد المصادر الصليبية مسئولية ريتشارد عن هذا

الحادث[71]. لأنه رجل قضي حياته في الحرب وهو فارس شريف[72]. ولم يكن ليقدم على استخدام سلاح الاغتيال[73]. وفي الحقيقة؛ إن دوافع قتل كونراد قد تكون لدي ريتشارد أكثر من أي شخص أخر، فليس من المستبعد أن يكون ريتشارد هو صاحب الدسيسة وذلك لتوفر العديد من الدوافع لديه؛ فالمركيز في نظر الصليبيين خائن وخارج على الدين وموالياً للأعداء، كما أنه يمثل حجرة عثرة في طريق ريتشارد الدبلوماسي مع المسلمين، وبمعني أخر فإن مفاوضات كونراد مع صلاح الدين كانت تؤدي لعرقلة مفاوضات ريتشارد مع السلطان وإضعاف مركزه التفاوضي. والراجح أن ريتشارد قد دفع بالأموال لشيخ الجبل لكي يغتال المركيز، وقد وجد سنان في هذا فرصة سانحة لكسب المال والثأر في آن واحد[74].

وعلى أية حال؛ عندما علم هنري كونت شامبانيا – ابن أخت ريتشارد- بمصرع كونراد طار من عكا إلى صور حيث استقبله سكان المدينة بالهتاف ليرث العرش ويتزوج الأميرة إيزابيلا زوجة المركيز المقتول[75]. وقد وجه الكونت هنري رسالة مليئة بالادعاء والغرور إلى صلاح الدين فحواها أنه يريد أن ترد له مملكة بيت المقدس لأنه أصبح ولي عهدها، وعلى أثر هذه اللهجة من الكونت هنري بعث ريتشارد برسالة لصلاح الدين يخبره فيها أنه جعل هنري وقواته في خدمة السلطان فليعامل هنري إذن معاملة حسنة، فأرسل السلطان له بأن الكونت هنري سيكون لديه كبعض أولاده[76].

وكان ريتشارد قد طلب في رسالته السابقة أن يعطيه السلطان كنيسة القيامة[77]، وقد رأى مجلس المشورة ضرورة عقد الصلح لأن المسلمين أصابهم الضجر والتعب وكثرة الديون[78]. فما كان من السلطان إلا أن أرسل لقلب الأسد بأنه يكون للصليبيين كنيسة القيامة والبلاد الساحلية التي فتحوها، ويكون للمسلمين القلاع الجبلية، إلا عسقلان وما ورائها فتكون خرابًا ليست لأحد من الجانبين[79]. فتعثرت المفاوضات بين الجانبين نظرا لتمسك ريتشارد بعسقلان لأنه صرف في إعادة تحصينها أموالاً طائلة، ولهذا عرض صلاح الدين عليه أن يعوض

الصليبيون في المقابل بالمزارع والقرى القريبة من عسقلان، على أن تخرب الداروم وغيرها[80]. إلا أن ريتشارد حرص على أن تترك هذه الأماكن الثلاثة؛ عسقلان ويافا والداروم عامرة، وأعلن تخليه عن القدس نهائيا، على أن يكون للصليبيين من الداروم إلى أنطاكية[81]. وقد رفض السلطان هذه الشروط و أصر على خراب عسقلان وتعويض الصليبيين في المقابل باللد، فرفض ريتشارد هذا العرض وبعث برسول للسلطان ليخبره بأنه "لا يمكننا أن نخرب من عسقلان حجرًا واحدًا ولا يسمع عنا في البلاد مثل ذلك"[82] وبهذا وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود .

**ثالثا: الدبلوماسية الأيوبية الصليبية**

كان توقف المفاوضات دافع لصلاح الدين للقيام بعمل عسكري من شأنه إجبار ريتشارد على قبول المقترحات السابقة إذ ما عاد لمائدة التفاوض من جديد. فقد انتهز صلاح الدين فرصة غياب ريتشارد عن يافا وقام بالاستيلاء عليها، إلا أن ريتشارد عاد للمدينة فور علمه بالأمر وألحق الهزيمة بالقوات الإسلامية التي لاذت بالفرار، وعادت يافا إلى الصليبيين مرة أخري[83].

وعقب معركة يافا ازدادت رغبة ريتشارد في العودة إلى بلاده نظرا لسوء الأحوال فيها ولهذا أرسل إلى السلطان لطلب الصلح، إلا أن الاتصالات لم تسفر هذه المرة أيضا عن شيء لتشدد الجانبين في أمر مدينة عسقلان. وقد مرض ريتشارد بعد ذلك في يافا وظل بها فترة فأرسل له السلطان بطبيبه الخاص ومعه الفاكهة والثلج[84]. وعندما اشتد بريتشارد المرض أرسل إلى العادل ليتوسط له عند السلطان في الصلح، على أن يعطيه السلطان عسقلان فإن رفض قبل ريتشارد التعويض عن ما أنفقه في تعميرها، فعقد السلطان مجلسه للتشاور في الأمر حيث أجمع الأمراء على ضرورة عقد الصلح لما لحق بالبلاد من التدمير والتخريب من ناحية، ولأن الجنود تراكمت عليهم الديون وأصابهم الضجر من مواصلة القتال والبقاء طويلا في الميدان من ناحية أخري[85].

وبينما كانت الأمور تجري على هذا النحو أعلن ريتشارد نزوله عن عسقلان وعن طلب التعويض الذي اقترحه، وبذلك اتضح انه يبغي الصلح الجاد هذه المرة. فنشطت المراسلات بين الطرفين للاتفاق على قواعد الصلح حتى تم الاتفاق على هدنة الرملة في 1 سبتمبر 1192م/ 21 شعبان 588هـ[86]. وقد رفض ريتشارد أن يقسم على الهدنة متعللا بأن الملوك لا يقدمون على مثل ذلك الأمر، ولهذا أقسم بالنيابة عنه الكونت هنري، وباليان بن بارزان، ومقدما الإسبتارية والداوية[87].

وقد أعطي السلطان يده فقط مثلما فعل ريتشارد ولم يقسم وأقسم بالنيابة عنه الملك العادل، والملك الأفضل، والملك الظاهر – أبناء السلطان-، والملك المنصور – صاحب حماة-، والملك المجاهد – صاحب حمص-، والملك الأمجد بهرام شاه – صاحب بعلبك-، والأمير بدر الدين – صاحب تل باشر-، والأمير سابق الدين عثمان – صاحب شيرز-، والأمير سيف الدين المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار[88]. وكانت الهدنة تنص على الأتي[89]. أولاً: هدنة عامة في البر والبحر والسهل والوعر مدتها ثلاثة سنوات وثمانية أشهر.

ثانيًا: يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من يافا جنوبًا حتى عكا شمالاً.

( يافا، أرسوف، قيسارية، حيفا، عكا )

ثالثًا: تخريب عسقلان.

رابعًا: تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين.

خامسًا: يكون للصليبيين حرية الحج إلى بيت المقدس.

هذا وقد اشترط الصليبيين دخول صاحب أنطاكية وطرابلس في الهدنة فوافق السلطان على أن يقسموا فإن لم يفعلوا ذلك لا يدخلوا فيها[90]:

وقد أمر صلاح الدين أن يذاع خبر الهدنة في معسكرات الجنود وفي الأسواق ليتنقل المسلمين والصليبين في البلاد بحرية وسلام[91]. ويمكننا الآن أن ندرك بعض الأمور الهامة نعرضها على النحو التالي:

**أولاً**: كان ريتشارد حريصًا على طلب الصلح نظرًا لما أصاب جنوده من الضجر لطول غيابهم عن أوطانهم، بالإضافة لسوء الأحوال في بلاده ومحولات أخيه حنا إقصائه عن العرش ورغبته في العودة بأسرع صورة ممكنة، وأخيرًا اشتد به المرض ويأس من الشفاء. وعلى هذا كانت شروط الصلح جيدة بالنسبة له بأي حال من الأحوال[92].

**ثانيًا**: لم يكن الصلح من إيثار السلطان صلاح الدين لأنه كان يفضل الجهاد، كما انه كان يخشي من أن يقوي العدو وله بلاد في يده فيخرج لاستعادة بقية البلاد[93]. بيد أنه أدرك أن المصلحة في عقد الهدنة لأن الحرب قد طالت وألحقت بالمسلمين خسائر عديدة.

**ثالثا**: إن هذه أول مرة تنتهي حملة صليبية إلى صلح أو اتفاق يجمعها على التعايش وقبول الواقع[94]. والواقع أن ما حدث ليس صلحا وليس معاهدة سلام دائمة وإنما في الحقيقة هدنة مؤقتة قصيرة الأجل.

**رابعًا**: تختلف روايات المصادر الإسلامية والصليبية في تحديد مدة سريان المعاهدة وبدايتها، والواقع أن هذا الأمر مردود عليه بأن العماد الأصفهاني هو الذي كتب نسخة المعاهدة مما يدفعنا إلى ترجيح روايته[95].

**خامسًا**: إن المدة الزمنية للمعاهدة تفيد في إعادة تعمير البلاد وتحسين الزراعة التي أتلفتها الحرب، فضلاً عن أن هذه المدة من شأنها أن توفر الراحة للجيش الأيوبي الذي لم يهدأ طوال سنوات عديدة (من 1187 حتى 1192) فقد قضي هذا الجيش كل هذه المدة تقريبا في قتال، فقد خرج من معركة حطين ليدخل في معارك فتح الساحل ثم حصار بيت المقدس، ثم معركة عكا- عامين كاملين- ثم معركة

أرسوف. أما بالنسبة للصليبيين؛ فقد حسبوا أن وقت انتهاء المعاهدة يوافق "وصولهم من البحر[96]. حتى يقوموا بالعدوان على المنطقة على من جديد.

**سادسًا**: لم يتم في هذه الهدنة أية اعتراف للصليبيين بأي حق لهم على أرض فلسطين وإنما تقرر عدم القتال على ما انتزعوه من أرض إلى أن تنتهي الهدنة.

**سابعًا**: من الراجح أن التجار الإيطاليين كان لهم دور في إقناع ريتشارد بالتخلي عن المدينة المقدسة نظير استيلائه على المدن الساحلية[97]. وفي الواقع لقد خرج الصليبيين بمكاسب من هذا البند الخاص بالمنطقة الساحلية لأن بها جوهرة الساحل الشامي عكا، كما أن يافا كان من شأنها تسهيل وصول الحجاج الأوربيين المسيحيين إلى المناطق المقدسة لديهم. ومن المنطقي تصور دور التجار الإيطاليين إذ أن المستعمرات الصليبية في بلاد الشام كانت في أمس الحاجة لمساعدات المدن الإيطالية، ليس في المجال العسكري فحسب، لكن بصورة أكبر في نقل الإمدادات والمؤن والطعام، وبشكل مكثف الحجاج والفرسان والمحاربين[98].

**ثامنًا**: إن البند الخاص بجعل اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين يعد من الإشارات الأولي في المصادر العربية عن نظام بلاد المناصفات، وهي المناطق التي توصف بأنها مناطق محايدة[99].

**تاسعًا**: يحمل البند الخاص بالحج رسالة حضارية على جانب كبير من الأهمية، فقد أراد السلطان أن يوضح للصليبيين أنه لا توجد أية مشكلات من شأن تدفق حركة الحج المسيحي مع وجود المقدسات المسيحية في أيدي المسلمين[100]. ومما يذكر في هذا الشأن أن ريتشارد طلب من السلطان ألا يسمح للصليبيين بالحج إلا بإذن منه – أي من ريتشارد شخصيا– ولكن صلاح الدين رفض هذا الطلب حتى لا يجعل له بمقتضي هذا الحق أي سيطرة على بيت المقدس ولو معنوية، ومن ناحية أخري خوفا من غضب الحجاج المسيحيين وهم من أمم مختلفة، حتى لا يعودوا ويثيروا أممهم ضد السلطان من جديد[101].

عاشرًا: كان من الطبيعي أن يقابل الجانبين الإسلامي والصليبي الهدنة بالارتياح بعد أن مل كلا منهما طول القتال[102]، ولهذا تردت في المصادر العبارات التي توصف الفرح والسرور الذي عم الجانبان في يوم الهدنة.

على أية حال؛ لقد انتهت بهذه الهدنة الحملة الصليبية الثالثة بعد أن باءت بالفشل في تحقيق الهدف الأساسي الذي جاءت من أجله وهو الاستيلاء على بيت المقدس[103]. ويذكر البعض أن ريتشارد كافئ الملك العادل على مجهوداته في إجراء هذا الصلح بأن منح أبنه الكامل رتبة الفروسية في احتفال رسمي[104]. والواقع أن هذا الأمر لم يحدث في ذلك الوقت ولهذا السبب، لكن أحداثه جرت في مارس 1192م حيث دعا ريتشارد العادل لحضور حفل يوم أحد السعف – الخاص بالمسيحيين – وذلك نتيجة لما نشأ بين الاثنان من مودة وتقارب وصداقة متبادلة، وفي هذا الاحتفال الديني ألبس الملك ريتشارد الكامل أبن العادل لباس الفروسية بحضور كبار رجال الجيش الصليبي[105].

ويقال أن ريتشارد حينما ركب سفينته عائدا إلى بلاد أرسل رسالته الأخيرة إلى صلاح الدين يتحداه ويتوعده بقوله : أنه سيعود بعد ثلاث سنيين ويستولي على بيت المقدس، فكان رد صلاح الدين عليه رد القوي الهادي الرصين الواثق من نفسه إذ قال له مستهزئا به: "أنه إذا كان لابد أن تقطع يده فإنه يفضل أن يقطعها ريتشارد لا أي رجل سواه"[106]. والواقع أن هذه الرسالة لا توجد لها أدني إشارة في المصادر الإسلامية.

والآن؛ من الجدير أن نتعرف عن قرب على مدينة عسقلان التي كانت سببًا في تعثر المفاوضات أكثر من مرة، ثم استقر الأمر في النهاية على تخريبها طبقًا لهدنة الرملة. تقع مدينة عسقلان في المدخل الجنوبي لبلاد الشام عند خط عرض 31 شمالا[107] ، وتأتي في الترتيب على الساحل بعد مدينة أرسوف ويافا[108]. ويلاحظ أن هذا الموقع كان السبب في الشهرة التي اكتسبتها عسقلان منذ العصور القديمة لأنها تقع بذلك على الطريق التجاري بين مصر والشام. وتبلغ مساحة

عسقلان 610 فدان[109]. وهي تتخذ شكل نصف دائرة يمتد قطرها على طول الشاطئ بينما يقع قوس هذه الدائرة على المنطقة المطلة نحو الشرق، وتستقر المدينة بأسرها في حوض يميل نحو البحر[110].

ويغلب على هذه المدينة التربة الرملية، وتكثر بها أشجار الزيتون واللوز والكروم وأشجار الفواكه، فقد كانت تجمع بين الجمال وأصالة المكان واعتدال المناخ ولعل هذا السبب في أنها عرفت بعروس الشام [111]. وقد قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث عن مدينة عسقلان ومدحها بأقوال عديدة[112]. ويبدو أن هذه الأحاديث كان لها الأثر القوي في نفس صلاح الدين حين فضل موت أحد أبنائه عن تخريب حجر واحد منها.

وتوضح روايات المؤرخين والجغرافيين العرب والصليبيين مدي قوة ومناعة مدينة عسقلان، فأشارت لقوة استحكاماتها الحربية من أسوار مرتفعة قوية وتحصينات خارجية تستطيع تحمل ضربات المنجنيقات وآلات الحصار[113]. ويتكون الدفاع الاستراتيجي لعسقلان من تلال ترابية ترتفع تليها الأسوار في مسافات متكررة ومتناوبة، وتوجد بها الأبراج المكونة من مواد البناء الصلبة والأسوار التي تحيط بها واسعة ذات سمك جيد[114].

حيث كان لعسقلان أربع بوابات، البوابة الأولي تقع في الجهة الشرقية وتسمي البوابة العظمي، ويطلق عليها أيضا بوابة بيت المقدس لأنها تؤدي إلى بيت المقدس، ويحيط بها برجان عاليان أقيما لتحصين المدينة والدفاع عنها من هذه الجهة، أما البوابة الثانية فتقع غرب المدينة وتسمي بوابة البحر لأنها تؤدي إلى البحر المتوسط، وتقع البوابة الثالثة جنوب المدينة وتؤدي لمدينة غزة لذا عرفي ببوابة غزة، وتقع البوابة الرابعة في الجهة الشمالية للمدينة وتسمي ببوابة يافا لأنها تؤدي إلى مدينة يافا الواقعة إلى الشمال من عسقلان[115].

ويمكننا أن ندرك الآن؛ أن عسقلان بحكم موقعها ليست فقط بوابة بيت المقدس بل أيضًا بوابة مصر، ولهذا حرص السلطان الأيوبي على عدم وقوعها في

يد الصليبيين حتى لا يقطعون بها الطريق إلى مصر. فقد كانت مصر طوال الفترة التي شغلها حكم صلاح الدين الأيوبي، القاعدة الأساسية التي انطلقت منها الجيوش والإمدادات البشرية **والتموين الاقتصادي**[116].

أما بالنسبة لريتشارد؛ فلعله أدرك أن عسقلان بحكم موقعها نقطة عسكرية أمامية للقادة المصرية ومركزًا متقدمًا يسمح بتوجيه الضربات على الرملة ويافا وعن طريقها يمكن فصل القدس عن البحر[117]. ولهذا سعي إلى إعادة تعميرها حتى يضمن تأمين حدود بيت المقدس من الجنوب. وهكذا؛ يتضح أن البند الخاص بتخريب عسقلان في هدنة الرملة يظهر بجلاء مدي حرص السلطان على لتحقيق الأمن لمصر. ويذكر أن ريتشارد رحل إلى بلاده وفي رأسه أن الطريق إلى مملكة بيت المقدس يبدأ أولاً بمصر، وقال بضرورة تنفيذ هذه الفكرة أكثر من واحد من رجاله قبل رحيلهم عن الشرق[118]. أما بالنسبة لعسقلان فبعد أن عقدت الهدنة بعث السلطان إليها مائة من النقابين والحجارين لتنفيذ عملية التخريب بعد إخراج الصليبيين منها[119]، وبهذا تم تخريبها للمرة الثانية.

**الخاتمة:**

والآن؛ نصل إلى رؤية شاملة لأحداث المفاوضات يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: إن أخطر الوسائل في الدبلوماسية هي اكتساب الوقت واختراع الأفكار للتسوية وهذا ما حرص عليه الطرفان أثناء مسيرة المفاوضات بينهم، ففي حين عمل العادل على اكتساب الوقت بشتى الطرق الممكنة والتي منها التردد في الإجابة على مطالب ريتشارد، قابل الأخير هذا بدهاء سياسي عمد فيه إلى تقديم مقترحات عديدة للوصول إلى مأربه من هذه الحملة وهو استرجاع الأرض المقدسة بأي وسيلة.

ثانيًا: أثرت الحالة العسكرية للجانبين بالإضافة إلى الضغوط الداخلية في سير المفاوضات، فبينما دفعت الأولي الجانب الصليبي للدخول في المفاوضات، أدت الثانية بالمسلمين إلى قبول مبدأ التفاوض نظرا للحالة السيئة التي كانت عليها البلاد من طول فترة الحرب. كما يلاحظ أن أسلوب صلاح الدين في الرد على رسائل ريتشارد كان يجمع في الغالب بين الكياسة واللباقة والثقة بالنفس، في حين امتازت رسائل قلب الأسد بطابع الشدة والتهديد والترغيب بالإضافة إلى اعتماده على المراوغة وعد التزامه بما يتفق عليه فقد كان دائما يعدل في مقترحاته ويقتصد في طلباته، بل كان يخلط الجد بالهزل حين عرض فكرة المصاهرة السياسية كحل يمكن الإرتكان إليه للوصول إلى صلح بين الجانبين.

ثالثًا: نشأت بين الملك العادل والملك ريتشارد خلال المفاوضات مودة وصداقة متبادلة دفعت كلا منها إلى أن يحتفي بالآخر حين يلقاه. فقد كان العادل يحمل بعض الطعام والتحف والهدايا لريتشارد حين يلقاه، كما يفعل الأخير بالمثل معه بل تطور الأمر لأكثر من هذا لنجد أن ريتشارد كان يطلب من العادل أن يكون وسيطا له عند شقيقه السلطان فيحصل منه على الموافقة

لمقترحاته التي كان السلطان قد رفضها في السابق. وفي هذا الدليل الناصع على أن ريتشارد عمد إلى استخدام كل شيء وأي شيء للوصول إلى أهدافه حتى لو كان استخدام تلك العلاقة الحميمة التي نشأت بينه وبين العادل والتي كان يوجها لخدمة أغراضه.

رابعًا: أظهرت هذه المفاوضات بجلاء مدي توحد الجانب الإسلامي وتماسكه، فعلى مدار المفاوضات نلاحظ هذا التوحد الذي جمع بين صلاح الدين وأمرائه من خلال مجلس المشورة الذي كان ينعقد للنظر في أمور البلاد ومدي احتياجها للصلح. كما كان هذا المجلس عونًا للسلطان في دراسة مقترحات ريتشارد وتقييمها، إلا أنه قد ترك الرأي للسلطان في أمر مشروع الزواج دون مناقشته ولعل ذلك كان من أبرز الدلائل على استنكار المسلمين لهذا الأمر. ومن جهة أخري؛ أوضحت المفاوضات مدي تمزق الجانب الصليبي وانشقاقه، فلم يكن قادة الجيش يختلفون فيما بينهم فحسب بل اختلف الأمراء والملوك، ففي البداية كان الخلاف بين الملك الإنجليزي والملك الفرنسي مما أدي لرحيل الأخير عن الشرق، ثم تطور الأمر لخلاف بين الصليبيين المحليين في صورة المركيز كونراد مع الصليبيين الواردين في صورة الملك ريتشارد. وهذا ما أدي بالرجلين إلى طريق الحقد والكراهية.

خامسًا: كان العامل الجغرافي وراء الدبلوماسية ومسيرة المفاوضات، فقد أدت مدينة عسقلان إلى عرقلة المفاوضات أكثر من مرة نظرًا لما لها من أهمية في الربط بين الساحل الشامي والساحل المصري. ومن الملاحظ أنه في حين سارع صلاح الدين بتخريب عسقلان حتى لا تقع في يد الصليبيين، تثاقل الصليبيين في الاستيلاء عليها مما أعطي السلطان فرصة كافية لتدمير المدينة. وقد كان التباطؤ في الاستيلاء على المدينة أمرًا طبيعيًا مع وجود الانقسامات بين القادة بين مؤيدين للسيطرة على المدينة ومعارضين رأوا

ضرورة التوجه إلى يافا أولاً ثم إلى بيت المقدس. بيد أن وقوع المدينة في يد ريتشارد بعد ذلك وتعميره لها وإدراكه لأهميتها أدي لتوقف المفاوضات أكثر من مرة، وإذا كان في النهاية لم يتركها إلا مجبرًا فلعله لم يوافق على أن تكون للمسلمين إلا إذا تم تخريبها. ومن ناحية أخري أدي إدراك صلاح الدين لأهمية هذه المدينة على أمن مصر لموافقته على تخريبها كي تكون بيد المسلمين حتى ولو كانت خربة فهذا أفضل من أن تكون بيد الصليبيين محصنة قوية.

سادسًا: كان ريتشارد يجمع في إدراكه بين الواقع العسكري والواقع الدبلوماسي، ففي حين كان يفرض شروطًا قبل معركة أرسوف، كاد يقبل شروطًا أكثر في هدنة الرملة مثل التنازل عن عسقلان. ومن زاوية أخري؛ فإن انتصاره في معركة عكا وأرسوف لم يحدث تغيير في الهدف الذي جاء من أجله، بيد أنه إذا كان لم يحصل عليه في أرض المعركة فإنه لم يحصل عليه على مائدة التفاوض آلا وهو بيت المقدس.

سابعًا: كانت المفاوضات بين الجانبين عبارة عن حرب دبلوماسية أيوبية – صليبية انتهت بانتصار دبلوماسي أيوبي وهو هدنة الرملة. فبعد عام كامل من التفاوض حافظت هذه الهدنة على غالبية مكاسب معركة حطين التي حققها المسلمين، كما أصابت الصليبيين بخيبة أمل بعد أن فشلوا في الاستيلاء على بيت المقدس. أما بالنسبة للصليبيين فقد كان احتفاظهم بمدينة عكا وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا بمثابة مكسب لهم، مع الأخذ في الاعتبار أنهم لم يحصلوا على هذه المناطق بمقتضي الهدنة التي عقدوها مع المسلمين وإنما كانت نتاج العمل العسكري وما حققوه من مكاسب على أرضية الصراع.

ثامنًا: وضعت هدنة الرملة حدًا لصراع عنيف بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام، كما أنهت أحداث عاصفة شارك فيها كبار ملوك وأباطرة أوربا مع

أعظم قادة العرب. كما أنهت فترة طويلة من الحرب قاسي فيها الفريقين العديد من الآلام، فكانت فرحتهم بالهدنة ومبادرة كل منهما إلى الاختلاط بالفريق الثاني في مودة وتسامح.

## ❖ هوامش البحث

(1) نظير حسان سعداوي، **التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي**، مكتبة النهضة، ب. ط، القاهرة 1957، ص 265.

(2) سعيد احمد برجاوي، **الحروب الصليبية في المشرق**، ب. د، ب.ط، بيروت، 1984، ص 426.

(3) كان ريتشارد (1157 - 119م) جنديًا ذو موهبة في وضع الخطط الحربية وعلي دراية بفن المناورات في القتال. وكان ذو شخصية قيادية بالغ الطموح، وبوصفه مقاتلاً كان قريبًا من الجنون وكان يتميز بشجاعة لا تصدق وكان مفعمًا بالجرأة؛ وبوصفه أميرا كان زكيًا ومحترسًا وحذرًا. كان بوسعه أن يجازف بحياته بلا مبالاة تامة. وعنه أنظر: ستيفن رانسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، الجزء الثالث، ب. د، الطبعة الثالثة، القاهرة 1993، ص 76- 77 ؛ ميخائيل زابوروف، **الصليبيون في الشرق**، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، ب.ط، موسكو 1986، ص 210، حاشية (1).

(4) عبد المنعم ماجد، **العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي**، مكتبة الجامعة، ب.ط، بيروت 1966، ص 181.

(5) **المرجع** نفسه والصفحة.

(6) نظير سعداوي، **المرجع السابق**، ص 266.

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور، **الناصر صلاح الدين**، الدار المصرية للتأليف، ب.ط، ب.م، ب .ت، ص 242 - ص 243 ؛ **الحركة الصليبية**، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو، الطبعة السادسة، القاهرة1994، ص 687- ص688.

(8) يلاحظ أن الصليبيين تعرضوا خلال عملية الزحف بمحاذاة ساحل البحر للهجمات الأيوبية وذلك بقصد إنهاك الجيش الصليبي علي نحو يؤدي لضعف فعالياته الحربية، وإلحاق أكبر قد من الخسائر البشرية والمادية في صفوفه، وعن ذلك أنظر: محمد مؤنس عوض، **العلاقات بين الشرق والغرب**، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة 1999، ص 238- 239.

(9) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، الجزء الثالث، ب.د، ب.ط، دمشق، ب.ت، ص 867.

(10) كان ريتشارد قد أوضح الأسباب التي جعلته يرمي إلى الصلح في كتابه إلى أسقف كليرفو Clairvaux، حيث أن المناطق الخاضعة لسيادته وشدة حرارتها كانت السبب في المرض وإنفاق الكثير من الأموال واستنفاد القوة والصحة، بالإضافة لإصابة الجنود بالإحباط نتيجة لأن السفن كانت تنقل بين عكا ويافا أشخاص غير مرغوب فيهم. وعن ذلك أنظر: السيد الباز العريني، **الشرق الأوسط والحروب الصليبية**، الجزء الأول، دار النهضة العربية، ب.ط، القاهرة 1963، ص 970 – 971.

(11) ابن شداد، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة 1994، ص 273.

(12) ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية، القاهرة 1957، ص 367 ؛ ابن الفرات، **تاريخ الدول والملوك**، تحقيق حسن محمد الشماع، المجلد الرابع – الجزء الثاني، دار الطباعة الحديثة، ب. ط، بغداد 1969، ص 32 .

(13) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 273 .

(14) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 273 .

(15) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 274 ؛ ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، الجزء الثامن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولي، الهند 1951، ص 409.

Steven Runciman, **The history of crusades**, Vol. 3, Cambridge university press, London 1954, P.55

ومن الملاحظ أن هناك بعض المصادر الصليبية لم تذكر واقعة التقاء ريتشارد بالعادل، وعن ذلك أنظر:

Ambroise, **The crusade of Richard Lion Heart**, translated by John L. lamonte, Columbia University Press, New York 1941, P. 248-note (16).

(16) العماد الكاتب الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق محمد محمود صبح، المطبعة الخيرية، ب.ط، القاهرة 1965، ص 542. ويلاحظ هنا أن العماد أورد رد العادل علي ريتشارد، أما ابن شداد فلم يذكر سوي عبارة "فأخشن له الجواب، وجرت منافرة اقتضت أنهم رحلوا بعد انفصالهما". أنظر: ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 274.

(17) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 281؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، المجلد السابع، ب. د، ب. ط، بيروت 1994، ص 198.

(18) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 281؛ اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، الجزء الثالث، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة 1993، ص 460.

(19) عمر كمال توفيق، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، ب.د، ب.ط، الإسكندرية 1986، ص 120.

(20) كان العادل صاحب رأي قوي، لديه القدرة علي أن يسمع ما يكره، غزير العقل. وعن الملك العادل وصفاته أنظر: ابن اياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفي، الجزء الأول – القسم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة 1982، ص 253، ص 257؛ القرماني، **أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ**، مكتبة المتنبي، ب.ط، القاهرة، ب.ت، ص 194 – 195؛ محمد كرد علي، **خطط الشام**، الجزء الثاني، ب.د، الطبعة الثانية، بيروت 1969، ص 80 –81؛ سهير محمد مليجي علي، **حلب في القرن الثاني عشر الميلادي – السادس الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف عليه عبد السميع الجنزوري، كلية البنات- جامعة عين شمس، القاهرة 1996، ص 108.

(21) محمد مؤنس عوض، **الصراع الإسلامي – الصليبي معركة أرسوف 1191 م – 587 هـ**، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة 1997، ص 15.

(22) ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ 2، ص 67 – 68 ؛ ابن الفرات، **المصدر السابق**، م 4/ جـ2، ص33–34 ؛ محمد مؤنس عوض، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص 240 – 241 .

Martin windrow and francisk.mason, **Aconise dictionary of military biography**, Camelot press, first published, London 1975, P.239.

(23) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 285 ؛ العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص 560؛ رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 117.

Alfried Duggan, **The story of the crusade (1097-1291)**, first published, London, 1963, P.190.

(24) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 285؛ ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ 2، ص 372؛ ابن الفرات، **المصدر السابق**، م 4/ جـ2، ص 39.

Ambroise, **op.cit.**, p.331-note (7)

(25) محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية( 1095– 1291)**، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، الإسكندرية 1995، ص 177.

(26) سوف نتحدث لاحقًا خلال هذه الدراسة عن تدمير صلاح الدين لمدينة عسقلان بعد خمسة أيام فقط من معركة أرسوف حتى لا تقع في يد الصليبيين وتشكل خنجرًا مصوبًا لقلب مصر، ثم سيطرة ريتشارد عليها ومحاولته تعميرها.

(27) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 290؛ رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 115 .
ويلاحظ هنا أن ريتشارد جمع في رسالته بين الشدة والملاينة لعلمه بوجود مفاوضات صليبية أخري مع صلاح الدين.

(28) تقع مدينة بيت المقدس بين البحر الميت من الشرق والبحر المتوسط من الغرب، وتبعد عن الأول، 18 ميلاً وعن الثاني 32 ميلاً. وهي مرتفعة نحو 3,800 قدم عن سطح البحر الميت و2,500 قدم عن سطح البحر المتوسط. وعنها أنظر: الاصطخري، **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، ب.ت، ص 56– 57 ؛ ابن حوقل، **صورة**

**الأرض**، دار الكتاب الإسلامي، ب.ط، القاهرة 1998، ص 158 ؛ عارف باشا العارف، **تاريخ القدس**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة 1994، ص 185.

(29) محمد بيومي مهران، **المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم**، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، الإسكندرية 1999، ص 240.

(30) قال تعالي: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى" رقم (17) أية (1).

(31) عمران، **المرجع السابق**، ص 177. الجدير بالذكر؛ أن كونراد مونتيفرات يعد مسئولاً أكثر من غيره عن الحملة الصليبية الثالثة، فقد أرسل مرارًا إلي الغرب يلتمس النجدة، وما كادت الأنباء تصل إلي روما حتى بادرت البابوية بإرسال المنشورات إلي سائر أنحاء أوربا، ولم يلبث أن تم الاستعداد لحملة صليبية جديدة ألا وهي الحملة الصليبية الثالثة. وعن ذلك أنظر: إرنست باركر، **الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت 1967، ص 86.

(32) عمر كمال، **المرجع السابق**، ص 171 – 172 .

(33) نظير سعداوي، **المرجع السابق**، ص 280 .

(34) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص292 ؛ العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص555 ؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، تحقيق عمر عبد السلام، الجزء الأول، جروس بيرس، الطبعة الأولي، طرابلس 1993، ص200؛ ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، الجزء الخامس، مؤسسة جمال للنشر، ب.ط، ب.ت، ص 327.

(35) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 292- 293.

Runciman, **op.cit.**,p.59.

(36) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 303 – 304 .

(37) Malcolm and Jackson,**op.cit.**,P.342.

(38) إبراهيم سعيد فيهم محمود، **يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ( 1099-1291م/ 492-690هـ)**، رسالة ماجستير غير من منشورة، إشراف جوزيف نسيم يوسف، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية،1991، ص 180.

(39) محمود محمد الحويري، **العادل الأيوبي: صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية**، دار حراء، ب.ط، القاهرة 1979، ص 42 .

(40) عاشور، **الحركة الصليبية**، جـ 2، ص 694 ؛ **صلاح الدين**، ص 253.

Ernest Barker, **The crusades**, oxford university press, London 1949,P. 64-65.

(41) Runciman, op.cit.,P.59.

(42) ومن الملاحظ هنا أن ريتشارد كان يراوغ في عرضه فلماذا لم يقدم هذا العرض منذ البداية إذا كان زواج العادل من اليانور لن يتطلب موافقة البابا لذكر ابن شداد ما نصه "أن البابا يحتاجه الصليبيين في تزويج الثيب من بنات الملوك، وأما الابكار فيزوجها أهلها". أنظر: ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 304-305.

(43) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 292 .

(44) محمود محمد الحويري، **مصر في العصور الوسطي**، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولى، الجيزة 1996، ص 205.

(45) عاشور، **الحركة الصليبية**، جـ 2، ص 694 .

(46) حسين الأمين، **صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين**، دار الجديد، الطبعة الأولي، بيروت 1995، ص 122.

(47) ومما يذكر أن العادل كان يدرك أن أخت الملك ريتشارد لن تقبل الاقتران برجل عربي، ولهذا فلعله وافق علي المشروع علي سبيل "المزاح كعادته". أنظر: ابن العبري، **تاريخ الزمان**، تحقيق إسحق أرمله، دار المشرق، بيروت1991، ص 222.

(48) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص300 ؛ العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص560 ؛ ابن خلكان، **المصر السابق**، ص 199.

(49) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 303.

(50) ا بن شداد، **المصدر السابق**، ص 305.

(51) مصطفي عبد العزيز العسقلاني، **عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف محمد محمد مرسي الشيخ، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، الإسكندرية 1992، ص147.

(52) الواقع أن صلاح الدين اتبع سياسة هدم المدن التي يعجز عن الدفاع عنها وذلك منعا لوقوعها في يد الصليبيين فيشتد بها ساعدهم، ولذلك قام بهدم عسقلان وهدم حصن الرملة واللد. أنظر: الحافظ شمس الدين الذهبي، **دول الإسلام**، تحقيق حسن

إسماعيل مزوه، الجزء الثاني، دار صادر، الطبعة الأولي، بيروت1999، ص96؛ الحريري، **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علي ديار المسلمين**، تحقيق سهيل زكار، دار الملاح، ب.ط، دمشق 1981، ص 86.

(53) محمد مؤنس، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص 244 .

(54) فقد كان السلطان مهموما بسبب ما استقر عليه الأمر بتخريب المدينة، حتى أنه قال: "والله لأن أفقد أولادي كلهم أحب إلي من أهدم منها حجرًا واحدًا، ولكن إذا قضي الله بذلك وعينه لحفظ المسلمين طريقًا فكيف أصنع" أنظر: ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 280.

(55) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 279-280 ؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، المجلد الثاني عشر، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت1982، ص 70 ؛ المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفي زيادة، الجزء الأول- القسم الأول، ب.د، الطبعة الثانية، ب.م، ب.ت، ص133 ؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد أحمد، الجزء الثامن والعشرون، دار الكتب المصرية، ب.ط، القاهرة 1992، ص434- 435؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، المجلد السادس، دار الغد العربي، الطبعة الأولي، القاهرة 1991، ص 884.

(56) العريني، **المرجع السابق**، ص 983 ؛

(57) العريني، **المرجع السابق**، ص 984.

والجدير بالإشارة أن صلاح الدين لم يتقاعس في الدفاع عن عسقلان بالرغم من أن المدينة أصبحت خربة خالية فقد أرسل بعض فرقه لمناوشة الصليبيين، بينما سمح لقواته الرئيسية بأخذ قسط من الراحة حتى تتحسن الظروف الجوية فيتمكن من التصدي للصليبيين الذين لابد وأنهم يستعدون للهجوم علي بيت المقدس وهي الهدف الرئيسي للحملة كلها. وعن ذلك أنظر: مصطفي العسقلاني، **الرسالة السابقة**، ص 143.

Runciman, **op.cit.**, P.62.

(58) جرجس فام ميخائيل، **الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقاتها الخارجية (1191-1291م)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف فايز نجيب إسكندر، كلية الآداب- جامعة الزقازيق، الزقازيق1989، ص 114- 115.

Runciman,**op.cit.**,P.63

(59) Ambroise, **op.cit.**, P.338-not(12) ; Runciman, **op.cit.**, P46 ; J.O.Thorne, **Chambers's Biographical Dictionary**, new edition, London 1961, P.307 ; Regine Pernound, **The crusades**, London 1962, P.198 .

(60) فيذكر أن صلاح الدين دفع عشرة آلاف دينار إلي شيخ الجبل سنان في مقابل أن يقتل كل من ريتشارد والمركيز، فقتل سنان الأخير وترك الأول لأن بقتله سيتفرغ صلاح الدين للحشاشين، وهذا ليس من المصلحة في شيء. أنظر: ابن الأثير، **المصدر السابق**، م 12، ص 78 - 79.

(61) Duggan, **op.cit.**, P.19.

(62) ابن واصل، المصدر السابق، جـ 2، 382؛ ابن الفرات، **المصدر السابق**، م4/ جـ2، ص 64.

(63) عاشور، **صلاح الدين**، ص 255.

الواقع أن المؤرخ ابن الأثير نشأ في ظل حكم الزنكيين، ولذلك فإنه في أهم مؤلفاته وهي"الكامل في التاريخ" وكتابه "الباهر في الدولة الأتابكية" نجده يحابي أمرائه الزنكيين ولا يلتزم جانب الحياد أو التفصيل حين يتكلم عن علاقة الزنكيين بصلاح الدين أو حين يتكلم عن صلاح الدين نفسه. أنظر: شاكر مصطفي، **التاريخ العربي والمؤرخون**، الجزء الثاني، الطبعة الأولي، دار العلم، بيروت1979، ص114.

(64) هو أبا الحسن سنان سليمان بن محمد، ولد بجوار البصرة في قرية عقر السدن علي قول ياقوت الحموي، وكان قوي الشخصية حاد الذكاء، وكان أول من لقب بشيخ الجبل، وهو أكبر زعماء الحشاشين في الديار الشامية. وعنه أنظر: زكي النقاش، **الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف حسن إبراهيم حسن، كلية الآداب-جامعة القاهرة، الجيزة 1953، ص 174.

(65) Ambroise, **op.cit.**, P.338-note (12) ; Runciman, **op.cit.**, P.65 ; Robert Lee Wolef and Harry W. Hazard, **The Later Crusades (1189 –**

**1311)**, Vol.2, University of Pennsylvania press, London 1962, P.80-81 .

(66) اتش.إ.ماير، **الحملات الصليبية**، الجزء الأول، ترجمة محمد فتحي الشاعر، دار الأمين، الطبعة الأولي، القاهرة 1999، ص 202.

(67) هناك مَن يري أن أحد الرجلين قُتل علي الفور، بينما تم القبض علي الآخر وسجن، وقبل إعدامه اعترف أنه هو ورفيقه من الحشاشين، وأن الذي كلفهما بهذا الأمر هو سنان شيخ الجبل. أنظر:

Runciman, **op.cit.**, P.65 ; Duggan, **op.cit.**, P.193 .

(68) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 310 ؛ العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص 589.

(69) ليوبولد(دوق النمسا) هو الرجل الذي قذف ريتشارد في عكا بعلمه علي الأرض، ولم ينسي ليوبولد الإهانة، وأثناء عودة ريتشارد إلي بلاده بعد انتهاء الحملة الصليبية الثالثة مجتازًا أراضي الدوق، قبض عليه الأخير واتهمه بقتل كونراد وألقي به في السجن لمدة سنتين. أنظر: زابوروف، **المرجع السابق**، ص 211 ؛ سعيد برجاوي، **المرجع السابق**، ص 438 ؛ رانسيمان، **المرجع السابق**، ص142.

James Westafall Thompson, **The Middle Ages (300-1500)**, Vol.1, Pilmpton press, London 1931, P.586; Rily-Smith, **The Crusade (1095-1279)**, first published, London 1981, P.21.

(70) رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 143، حاشية (1).

Hans Eberhard Mayer, **The Crusades**, Oxford university press, London 1972, P.146.

(71) Ambroise, **op.cit.**, P.338-note (12)

(72) Duggan, **op.cit.**, P.193

(73) Runciman, **op.cit.**, P.65.

(74) ومن الملاحظ أن مصرع كونراد أثلج صدر ريتشارد، حيث يذكر العماد أن ريتشارد كان يسابق المركيز في إيفاد الرسل إلا أنه لما قتل المركيز "سكن روعه وورعه. وطاب قلبه وآب لبه. واستوي أمره وإستشري شره". أنظر: **العماد الأصفهاني**، المصدر السابق، ص 589.

(75) رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 126.

(76) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص324-326 ؛ رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 133.

(77) توجد كنيسة القيامة في بيت المقدس وقد بنتها القديسة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين في عام325م. أنظر: محمد مؤنس عوض، **الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة 1995، ص 62، حاشية (50) .

(78) الواقع أن؛ نقص الأموال كان ناتجا عن أن صلاح الدين أنفق مال مصر في فتح الشام، ومال الشام في فتح الجزيرة ومال الجميع في فتح الساحل.ثم وجد نفسه في النهاية بلا موارد تكفي للحصول علي الأسلحة والمؤن وعطاء الأجناد، ولذلك ما استطاع أن يفعل شيئا لتخفيف الضائقة التي حلت بالعساكر. أنظر:
هاملتون جب، **دراسات في حضارة الإسلام**، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ب.ط، بيروت 1964، ص 138.

(79) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 326 ؛ ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ 2، ص 391.

(80) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص327 ؛ مصطفي العسقلاني، **الرسالة السابقة**، ص 158.

(81) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص328 ؛ ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ 2، ص 392.

(82) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص328 ؛ ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ 2، ص 393.

(83) ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ 2، ص 393-398 ؛ رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 133-135.

(84) جرجس ميخائيل، **الرسالة السابقة**، ص 118 ؛ محمد مؤنس، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص251.

(85) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص343 ؛ العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص 603 –604 ؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص 86؛ مؤرخ الجستا المجهول، **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، الجزء الثاني، الهيئة العامة للكتاب، ب.ط، القاهرة 2000، ص 264.

(86) العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص605؛ الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**،

تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء السابع، ب.د، ب.ط، القاهرة 1972، ص 111؛ الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية،ب.ط، بيروت، ب.ت، ص 292؛ الحافظ شمس الدين الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق صلاح الدين المنجد، الجزء الرابع، ب.ط، الكويت1963 ص265 ؛ ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ب.د، الطبعة الأولي، ب.م، ب.ت، ص233.

Edward Maslin Hulme, **The Middle Ages**, revised edition, New York 1938, P.490; Z.N.Brooke, **A History of Europe (911-1198)**, first published, London 1938,P.495.

(87) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 347 ؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، الجزء الثاني، ب.د، الطبعة الثانية، النجف 1969، ص 150.

(88) ابن الفرات، **المصدر السابق**، م4/ جـ2، ص 84 ؛ أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، الجزء الثالث، مكتبة المتنبي، ب.ط، القاهرة، ب.ت،ص 82.

(89) العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص605 ؛ ابن واصل، **المصدر السابق**، ص 403 ؛ ابن سباط، **المصدر السابق**، جـ 1، ص 204؛ ابن الفرات، **المصدر السابق**، م4/ جـ2، ص 84 ؛ مؤرخ الجستا المجهول، **المصدر السابق**، جـ 2، ص264-265.

رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 139 – 140.

Harold Lamb, **The Crusades The Flame of Islam**, New York P.193; Sidney Painter, **A History of The Middle Ages (284-1500)**, second printing, New York 1945, P. 216.

(90) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص347 ؛ النويري، **المصدر السابق**، جـ 28،ص 436.

(91) أبو شامة، **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق أحمد البيومي، القسم الثاني، مكتبة الأسد، ب.ط، دمشق 1992، ص 272.

(92) فلم يكن ريتشارد يطمع في أحسن من هذه الشروط "وأما من يري غير ذلك ويرفض الاتفاق السلمي فكذاب أشر" أنظر: مؤرخ الجستا المجهول، **المصدر السابق**، 265.

(93) أبو شامة، **المصدر السابق**، جـ 2، ص273 ؛ ابن واصل، **المصدر السابق**، جـ2، 405 .

(94) عبد المنعم ماجد، **المرجع السابق**، ص 184 .

(95) يذكر جيوفري دي فينسوف،وأمبروز، وروجر أوف أن مدتها ثلاث سنوات تبد أمن عيد القيامة لسنة 1193م /589هـ. أنظر: إبراهيم سعيد، **الرسالة السابقة**، ص 203. وهناك مَن يذكر أن مدة الصلح خمس سنوات. أنظر: رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 139. أما العماد فيذكر ما نصه: "فحضرت لإنشاء عقد الهدنة وكنت نسختها، وعنيت مدتها وبنيت قضيتها وذلك يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لأول أيلول لمدة ثلاث سنوات وثمانية شهور". أنظر: العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص 605.

(96) العماد الأصفهاني، **المصدر السابق**، ص 605 ؛ نعمان الطيب سليمان، **منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة**، مطبعة الحسين، الطبعة الأولي، القاهرة 1991، ص 322.

(97) نعمان الطيب، **المرجع السابق**، ص 322.

(98) حاتم عبد الرحمن الطحاوي، **الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام**، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة 1999، ص 116.

الواقع أن أية حرب مع المسلمين كانت تؤدي إلي كساد تجارة الجمهوريات الإيطالية. كما يلاحظ أن البنادقة قد تمتعوا بالإقامة في المدن الساحلية التي نصت عليها الهدنة بعد أن انتهت الحملة وعملوا علي حماية هذه المنطقة الساحلية من الأخطار. أنظر: عزيز سوريال عطية، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ترجمة فليب صابر سيف، دار الثقافة، الطبعة الأولي، القاهرة 1972، ص 147 ؛ عفاف سيد صبره، **العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من 1100-1400م**، دار النهضة العربية، ب.ط، القاهرة 1983، ص37.

(99) محمد مؤنس، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص 248.

(100) **المرجع السابق**، ص 249 .

(101) عبد المنعم ماجد، **المرجع السابق**، ص 184.

(102) عمران، **المرجع السابق**، ص 184.

فقد أقيمت المآدب والألعاب احتفالاً بالصلح، ويقول صاحب سيرة ريتشارد في هذا: "والله وحده يعلم مقدار السرور الذي ملأ قلوب الشعبين وهو سرور يجل عن الوصف". أنظر: ول وايريل ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، الجزء الرابع من المجلد الرابع، دار الجيل، ب.ط، بيروت، ب. ت، ص 44.

(103) سيد أمير علي، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، ترجمة رياض رأفت، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولي، القاهرة 2001، ص 319 ؛ فريال محمود عباس قطان، **الحجاز في ظل الدولة الأيوبية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف السيد عبد العزيز سالم، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، الإسكندرية 1990، ص 154.

Barker, **op.cit.**, P.66 ; Caril Stephenson, **Mediaeval History**, Harper publishers, revised edition, New York 1953,P.435.

(104) نعمان الطيب، **المرجع السابق**، ص 323.

(105) نظير سعداوي، **المرجع السابق**، ص285 ؛ فيلب حتى، **صانعوا التاريخ العربي**، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، الطبعة الثانية، بيروت1908، ص193.

Runciman, **op.cit.**, P.63.

هناك من يذكر هذه الواقعة بصورة أخري، فحواها أن ريتشارد ألبس حزام الفروسية في هذا الاحتفال للملك العادل. أنظر:

Matthew Strickland, **War and Chivalry**, Cambridge University press, first edition, London 1996, P.26-27.

(106) نعمان الطيب، **المرجع السابق**، ص 327 ؛ ول ديورانت، **المرجع السابق**، جـ4، ص44.

هناك مَن أورد جواب صلاح الدين بأنه إذا كان سيفتقد بيت المقدس، فإنه يؤثر أن يكون خصمه رجلاً كريتشارد. أنظر: فيلب حتى، **المرجع السابق**، ص 194. وهناك

مَن ذكر أن جواب صلاح الدين كان: "في الحقيقة لو أن مشيئة الله بأن تذهب القدس لأيدي غير أيدينا، فإنها لن تكون في يد أنبل من يد الملك ريتشارد". أنظر:

Meron Benvenisti, **City of Stone the Hidden History of Jerusalem**, University of California press, London 1996, P.15.

(107) مصطفي العسقلاني، **الرسالة السابقة**، ص33؛ اليعقوبي، **البلدان**، المطبعة الحيدارية، الطبعة الثالثة، النجف1957، ص85؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، دار صادر، ب.ط، بيروت، ب.ت، ص239؛ ابن شاهين، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تحقيق بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس 1893، ص152.

(108) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ليدن 1909، ص192.

(109) مصطفي العسقلاني، **الرسالة السابقة**، ص 33.

(110) وليم الصوري، **تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار**، تحقيق سهيل زكار، الجزء الثاني، دار الفكر، الطبعة الأولي، دمشق 1990، ص 809.

(111) الحميري، الروض **المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت 1984، ص95؛ ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، الجزء الأول، دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية، بيروت1992، ص78؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، ب.ط، القاهرة1994، ص357؛ الهروي، **الإشارات إلي معرفة الزيارات**، تحقيق جاتين سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ب.ط، دمشق1953، ص32؛ البغدادي، **مراصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي محمد البيجاوي، المجلد الثاني، دار الجيل، الطبعة الأولي، بيروت1992، ص940؛ ابن النابلسي، **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز**، تحقيق رياض عبد الحميد، دار المعرفة، الطبعة الأولي، دمشق1989، ص428؛ **ياقوت الحموي**، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار صادر الطبعة الثانية، بيروت1995، ص122.

(112) فيذكر أن الرسول(ص) قال:" إذا دارت الرحا في أمتي كان أهل عسقلان في عافية"، "أفضل الرباط عسقلان"، وعن الأحاديث الواردة في فضل عسقلان أنظر:
الحنبلي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، الجزء الثاني، المطبعة الحيدارية، ب.ط، النجف73،1968؛ ابن العديم، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ب.ط، دمشق 1988، 102؛ القز ويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، ب.ط، بيروت، ب.ت، ص222. ويذكر أن عمر بن الخطاب قال: لُولا أن تعطل الثغور وتضيق عسقلان بأهلها لأخبرتكم بما فيها من الفضل" أنظر: ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، دار صادر، ب.ط، بيروت، ب.ت، ص 103.

(113) صلاح الدين محمد نوار، **العدوان الصليبي علي العالم الإسلامي**، دار الدعوة، الطبعة الأولي، الإسكندرية 1993، ص 313.

(114) أسامة سيد علي أحمد، **الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أحمد رمضان أحمد، كلية الآداب- جامعة عين شمس، القاهرة 1992، ص146.

(115) مصطفي العسقلاني، **الرسالة السابقة**، ص35.

(116) رأفت عبد الحميد، **قضايا من تاريخ الحروب الصليبية**، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة 1998، ص161.

(117) أسامة سيد، **الرسالة السابقة**، ص148.

(118) رأفت عبد الحميد، **المرجع السابق**، ص161؛ محمد مؤنس، **العلاقات بين الشرق والغرب**، ص250.

(119) ابن شداد، **المصدر السابق**، ص 348-349 ؛ ابن سباط، **المصدر السابق**، ص205.